المحاضرة السادسة: فلسفة اللغة بين البلاغة والتداوليات

تمهيد:

تعتبر فلسفة اللغة مجالاً معرفياً يدرس طبيعة اللغة وفحص امكانياتها في التواصل، وقد تلتقي مع البلاغة والتداوليات في اهتمامها بكيفية إنتاج المعنى في داخل السياق. فاللغة ليست مجرد ألفاظ محايدة، بل هي فعل تواصلي يتشكل عبر المقام والمقاصد والعلاقات الاجتماعية. ومن هنا تظهر أهمية الربط بين فلسفة اللغة والتداوليات والبلاغة . سنحاول في هذه المحاضرة أن نتعرف على البلاغة والتداوليات والعلاقة الممكنة التي يمكن أن تربط بين هذه المجالات.

1. مفهوم البلاغة :

البَلاغةُ لُغةً: جاءت البلاغة من قولنا" بلَغتُ الغايةَ: إذا انتهيْتَ إليها، ومَبلَغُ الشَّيءِ: مُنتَهاه، والمُبالغةُ في الشَّيءِ: الانْتهاءُ إلى غايتِه، فسُمِّيتِ البَلاغةُ بَلاغةً؛ لأنَّها تُنهي المَعنى إلى قَلْبِ السَّامعِ فيَفهمُه. "

والبَلاغةُ اصطلاحًا:

عقَد الإمامُ القَيرَوانيُّ في كتابِه ((العُمْدَة)) بابًا أورَدَ فيه أقْوالًا لبعضِ العُلَماءِ في تَعْريفِ البَلاغةِ؛ منها: (سُئِل بعضُ البُلَغاءِ: ما البَلاغةُ؟ فقال: قليلٌ يُفهَمُ، وكثيرٌ لا يُسأَمُ. وقال آخَرُ: البَلاغةُ إجاعَةُ اللَّفظِ، وإشباعُ المَعنى.

وسُئل آخَرُ فقال: مَعانٍ كثيرةٌ في ألْفاظٍ قليلةٍ. وقِيل لأحدِهم: ما البَلاغةُ؟ فقال: إصابةُ المَعنى وَحُسْنُ الإيجازِ.

وسُئل بعضُ الأعرابِ: مَنْ أبلغُ النَّاسِ؟ فقال: أسْهلُهم لفْظًا، وأحسنُهم بَديهةً. (السنية، بلا تاريخ) تهدف البلاغة الى تحقيق :

التواصل والتفاهم: حيث تشكل البلاغة وسيلة فعالة لتحقيق التواصل والتفاهم بين الناس. وتهدف البلاغة في رأيهم إلى توجيه الأفكار والمعاني بشكل واضح وجذاب.

تحقيق الإقناع: يمكن للبلاغة أن تكون وسيلة للإقناع، سواء في المجال الديني أو الفلسفي. ويعتبرون أن البلاغة تسهم في جعل الرسالة أكثر إقناعًا وقوة في التأثير على الآخرين.

تحسين الفهم: كما ترتبط البلاغة أيضًا بتحسين فهم الأفكار والمفاهيم. عند استخدام الأساليب البلاغية بشكل صحيح، يمكن للمتحدث توضيح الأفكار بشكل أفضل وجعلها أكثر فهمًا للجمهور.

ربط البلاغة بالغايات الشرعية والأخلاقية: يرى علماء الكلام أن البلاغة يمكن أن تساهم في تحقيق الغايات الشرعية، مثل نشر المعرفة وتوجيه الناس نحو الخير. ويشددون على أهمية استخدام البلاغة بطريقة تتفق مع المبادئ الشرعية. (الحتوك، 2024)

2.**التداولية (اصطلاحاً):** ينسب أول استعمال لمصطلح (pragmatique) للفيلسوف الأمريكي (شارل موريس) وذلك سنة 1938 وقد عرفها بقوله: ((التداولية جزء من السيميائية، التي تعالج العلاقة بين العلامات، ومستعملي هذه العلامات. والتداولية (Pragmatics)هي العلم الذي يدرس كيفية استعمال الناس للعلامات أو الأدلة اللغوية في أحاديثهم وخطاباتهم، كما يهتم أيضًا بكيفية تأويل المتلقين لهذه الخطابات وفهم مقاصدها. ومن هذا المنطلق يمكن القول إن اللسانيات التداولية هي لسانيات الحوار والتواصل وبعبارة أخرى يمكن اعتبار التداولية علمًا يدرس الأفكار والمعاني والألفاظ والمفاهيم والإشارات، وكل ما يتصل باستعمال اللغة في سياقاتها الفعلية. وبعبارة جامعة، يمكن القول إن التداولية أداة للتفسير والنقد معًا، إذ تكمن قيمتها في كونها وسيلة معرفية تساعدنا على فهم الخطاب وتمييز ما إذا كان ما نبحث فيه يحمل معنى وقيمة أم لا. (جمال، 2020(

بين البلاغة والتداولية :

توجد فروق واضحة بين البلاغة والتداولية من حيث المنطلقات المعرفية والمنهجية. فالبلاغة العربية نشأت في سياق تراثي وثيق الصلة بالدراسات الدينية، ولا سيما مجال تفسير القرآن الكريم والبحث في إعجازه البياني، وقد أسهم في ترسيخها علماء مثل عبد القادر الجرجاني أما التداولية فهي علم حديث النشأة، ارتبط بتطور الفلسفة التحليلية والدراسات اللسانية المعاصرة، وقد برزت مع جهود عدد من الفلاسفة واللغويين مثل جون اوستين وجون سيرل . ولذلك تختلف الأطر المعرفية والمرجعيات الفكرية التي يقوم عليها كل من العلمين.

فالبلاغة تهدف أساسًا إلى الكشف عن مظاهر الجمال في التعبير اللغوي وتحقيق التأثير الفني والإقناع في المتلقي، وهو ما يظهر في مباحث البيان والبديع والمعاني. أما التداولية فتهتم أساسًا بفهم آليات التواصل اللغوي وتفسير كيفية إنتاج المعنى في سياق الاستعمال. ومن ثم فإن التداولية تتجاوز حدود الجماليات البلاغية لتدرس مختلف أبعاد الفعل التواصلي بين المتكلمين. كما يختلف مجال الدراسة في كل من البلاغة والتداولية. فالبلاغة غالبًا ما تركز على النصوص الأدبية والخطابات الرفيعة التي تتجلى فيها مظاهر البلاغة والأسلوب، في حين أن التداولية تتسع لتشمل جميع أشكال التواصل اللغوي، سواء في الخطاب الأدبي أو في التواصل اليومي العادي. ولذلك فإن التداولية تتناول استعمال اللغة في سياقاتها المختلفة، مما يجعل مجالها أوسع في تحليل الظواهر اللغوية. تعتمد البلاغة في كثير من مباحثها على الذوق البلاغي والحس الجمالي في تمييز الأساليب والتراكيب المؤثرة. أما التداولية فتستند إلى نماذج تحليلية ونظريات علمية دقيقة، مثل نظرية أفعال الكلام ونظرية الاستلزام الحواري. ولهذا تعد التداولية أكثر ميلًا إلى الموضوعية المنهجية في تحليل الخطاب اللغوي. وتنطلق البلاغة من تصور يرى اللغة أداة للتعبير الجمالي وإبراز براعة المتكلم في صياغة المعنى. أما

التداولية فتنظر إلى اللغة بوصفها نظامًا تواصليًا اجتماعيًا يُستعمل لتحقيق مقاصد المتكلمين داخل سياقات اجتماعية وثقافية محددة. ومن هنا يظهر اختلاف المنطلقات النظرية في فهم طبيعة اللغة ووظيفتها. (سليمان، 2012)